((إفتحوا الباب إحنا العزيزين))

ميسلون هادي

يا لها من مفارقة من مفارقات القصص الخيالية، أن تدق الساعة الثانية عشرة فتجد بغداد نفسها عاصمة للثقافة العربية بعد عام ونصف العام.. فكيف يا ترى ستنظر لها زوجة الأب الشريرة في المرآة؟.. كيف ستقتلها دون الحاجة إلى تفاحة مسمومة؟.. هل بوجهها العسكري الأمني الذي انتفخ وتضخم وأصبح ضرورة حتمية من ضرورات الجوع للمال والعطش إلى السلطة.. أم بأعداد كبيرة من مثقفيها تتمنى العودة إلى الوطن ولكن لا أحد يريد لها أن تعود؟.. وكيف تعود وتدخل من باب الجنرالات إلى مكان لم يلمسه التغيير إلا بالغبار ورائحة الباذنجان المقلي وبقايا العشاء التي تملأ مناضد غرف تفتيش النساء في دوائر الدولة ومؤسساتها من الساعة الثامنة وحتى الساعة الثانية عشرة؟

شارع المتنبي

ويا لها من مفارقة أخرى أنّ الخراب، الذي يتمثل في الكآبات التي تجد عليها بنايات الدوائر العراقية (وهي كآبات ليس لها اسم في القواميس)، يكون في أبشع حالاته في وزارة الثقافة تحديداً حيث انقلبت الآية هناك وأصبحت حتى الثريات سوداء اللون من شدة الوسخ وبدلاً من أن تتحول المكناسة إلى لوحة فنية أو تحفة أدبية فقد تحولت لحية القاضي إلى مكناسة. ولو كان الملا عبود الكرخي حياً الآن لضرب رأسه بالحائط بدلاً من تكسير المجرشة حزناً على وزارة من المفروض أن تكون مأوى بالثقافة والمثقفين ولكنك بدلاً من ذلك تجدها هائجة بجيش من السواق والحمايات والمنظفات وعشرات موظفي الاستعلامات والإدارة ومكاتب الوكلاء والمدراء.. هؤلاء كلهم على العين والرأس.. ولكن يؤلم القلب أن نفتقد في الوزارة وجود المثقفين الذين كانت أروقة الوزارة ومصاعدها في ما مضى تعج بهم فرادى وزرافات. ولولا ثلة من الزملاء القدامى أجدهم متفرقين هنا وهناك لانمحت كل الأسماء من البال. أما الحملان من المنسيين الذين لا يريد أحد فتح الباب لهم بعد أن خرجوا ولم يعودوا، فكيف يدخلون؟ ومن أي باب؟ من الباب الخلفية الشاهقة السوداء المحاطة بالأزبال والأنقاض أم من الباب الأمامية المخصصة للوزير وحاشيته فقط.. هذا ما رأيته بعيني. أما ما سمعت به فإن المدرعات والكلاب البوليسية تحيط أي دائرة ثقافية ينوي وزير الثقافة زيارتها بعد أن أصبح وزيراً للدفاع... فهل هذا هو وجه بغداد الحقيقي الآن لمن يريد الدخول إليها من باب وزارة الثقافة أو من أبواب متفرقة؟

والغريب إنك على كثرة ما تتعثر به من أعداد المنظفات اللواتي يتجولن في وزارة الثقافة، فلن تجد ممراً نظيفاً واحداً بالمعنى العطر للنظافة. هذه الحالة من الرثاثة ستجدها في كل دوائر العراق، وكأن دوائرنا قد أصبحت انعكاساً للفشل المكاني الذي تعانيه المظلومة بغداد. والدليل على ذلك إن بعض الصحف الرسمية ذات الأسماء الرنانة تجدها موجودة في قلب المزابل والحفر مما يدل أن لا أحد يهتم بما يكتبه أصحاب الضمائر الحية من مقالات، وهكذا ستسير الأمور في المدينة التي تحولت بناياتها البشعة إلى خرائب وبعد سنوات ستعتاد عليها العيون بالتدريج مثلما ستعتاد النفوس على الخمول بعد إصدار أوامر إدارية بتعيين خمسين عاملاً لا يعمل وخمسين منظفاً لا ينظف وخمسين موظفاً لا يتحرك من مكانه ولا ينجز أي شيء، وكأن اليأس قد أمسك بتلابيب العقول المقفولة على أرقام الراتب.. بينما الحمايات والرشاشات تقول إنك داخل إلى قلعة حصينة من قلاع المنطقة الخضراء.

لا أقول هذا الكلام من باب التجريح بموظفي وزارة الثقافة وعلى رأسهم السيد الوزير، فأنا أعلم أنه والكثير منهم على خلق رفيع، والرجل يقرأ المقترحات التي يتقدم بها المثقفون والمثقفات، ويهمش عليها بأجمل كلمات الامتنان (لتذهب منه مباشرة إلى غياهب النسيان في مكاتب أخرى).. ولكني أقوله من باب الألم على حال الوضع العراقي بشكل عام والذي أصبح يُفقدنا الأمل بسبب خموله ونحوله وبهذلة أروقته التي لم تستطع أشجار بلاستيكية قبيحة المنظر أن تمحو كآبته. وعلى ما يبدو فإنه كلما زادت الرواتب تردى الذوق العام لعاصمة الثقافة الحجرية ذات المزابل الكبرى، وانعكس هذا التردي على كل شيء حتى على الملابس والأبواب والجدران. وليست وزارة الثقافة استثناءً من هذا الوضع فهي (تروش) بموظفين يعتقدون أن الوزارة خُلقت من أجل الرواتب وليس من أجل الثقافة والمثقفين الذين رمت بهم الأقدار إلى (تلفات الدنيا) داخل العراق وخارجه.

لقد أصبحنا ندور في حلقة مفرغة.. غياب أصحاب الذوق الرفيع سيؤدي إلى تردي الجمال في البلاد، وتردي الجمال في البلاد سيؤدي إلى تمسكهم بدول المنافي واللجوء.. وليس هناك من يفكر جدياً بكسر هذه الحلقة وتفكيكها بالتي هي أحسن وذلك بتشجيع الكفاءات على العودة بشتى الأفكار والطرق، ولا يحتاج الأمر إلى وزارة جديدة أو لجان تقبض ولا تفعل شيئاً، بل هو يحتاج فقط إلى نيات صادقة ومخططين جيدين مشهود لهم بالكفاءة والاستقامة والإخلاص في العمل. وهناك قصة حدثت في سبعينيات القرن الماضي وتم من خلالها استقطاب العقول والكفاءات العراقية، بطريقة تكريم بسيطة ولكن ذات مفعول، وهي تخصيص سيارات حديثة وقطع أراض سكنية شملت جميع الاختصاصات من حاملي الشهادات العليا وأصحاب الكفاءات ولحد الآن تسمى السيارات المرسيدس ذات اللون الأخضر الفاتح على أنها (كفاءات) والسبب في ذلك يعود إلى فكرة.. وما أحوجنا في هذا الزمن الصعب إلى التفكير بكل وسيلة ممكنة لتعديل الحال المائل الذي يعانيه البلد حيث تجد وتلمس ظاهرة مؤلمة في دول الجوار تتمثل بذهاب مريض عراقي للعلاج عند طبيب أخصائي عراقي ولكن المكان ليس عراقياً بل هو عيادة أو مستشفى أردنية. أما هجرة الأدباء والمثقفين من ذوي الميول المستقلة فهي أوسع هجرة شهدتها البلاد في التاريخ المعاصر، ولم تكن في معظمها لأسباب سياسية وإنما (يأسية) هرباً من الخطر والفوضى والأوساخ وتردي الخدمات التي اكتسبت حالة من الاعتياد في عيون الناس بحيث ترى أرتال السيارات المتكدسة عند نقطة السيطرة لا تعني شيئاً أكثر من شريط لاصق طويل يبدو أنه سيلتصق بنا طوال عمرنا ثمناً مرعباً لفشل سياسي مريع ونتيجة محتومة لعقل مستبد يستسهل المنع ولا يجرب مئة طريقة أخرى لتأمين منفذ آخر لمنع مثل هذا التكدس الخطر من الحدوث.

هكذا في مطلع القرن الحادي والعشرين تكون بغداد العظيمة طاردة للكفاءات والعقول الجميلة... هكذا تمضي السنوات ونحن نتبلد، والناس يتبلدون وتعتاد عيونهم على هجوم الخراب من كل مكان.. ولنضرب رؤوسنا بالحائط إذا لم يعجبنا الوضع.

من البرج العاجي

▪ فوزي كريم

رسائل باوند إلى أبويه

لم يكن الشاعر إزرا باوند عرّاب حداثة في النصف الأول من القرن العشرين فقط، بل كان رجل فاعليات عدة. كان شاعراً، وناقداً، ومترجماً، ومعنياً بالموسيقى، والفن التشكيلي، وسياسياً بفاعلية خطرة. وكان إلى جانب هذا كاتب رسائل من الدرجة الأولى. والرسائل الشخصية في الأدب الانكليزي ذات مكانة خاصة لدى القراء، لأنها بانوراما الشخصية الأدبية في كل تفاصيل حياتها وإنتاجها ومواقفها. وهي بالإضافة إلى ذلك بريئة من العناية الأسلوبية، التي تتصف بها الكتابة الإبداعية، بصورة عامة. لذا نتوقع من أسلوبها عفوية خاصة. ولكن هذه الرسائل الشخصية الانكليزية لا تتصف بالغنى فقط، بل بالغزارة التي تبدو للقارئ على شيء من الغرابة. رسائل إزرا باوند ليست استثناءً، بل لعلها تقف في المقدمة.

حين أصدرت دار أوكسفورد المجلد الرابع من رسائل الشاعر ييتس، بعد ٢٥ عاماً من صدور المجلد الأول، كانت قد أعلنت أن الرسائل كاملة ستكون في ١٤ مجلداً. وهذا يعني أن أمر الدرس والتحقيق سيحتاج من المحررين الى قرابة ستين عاماً قادمة. رسائل إزرا باوند أكثر غزارة من رسائل ييتس. ولعل ستين عاماً قادمة لن تكون كافية لإنجاز كل مجلداتها. ولك أن تتخيل.

صدر العديد من هذه الرسائل في كتب يقتصر كل واحد منها على شخصية واحدة ذات علاقة بباوند: جويس، ويندهام لويس، وكامنغس، ووليمز كارلوس ووليمز وعشرات آخرون. الكتاب الجديد الذي صدر مؤخراً يضم رسائل باوند إلى أبويه، حتى عام ١٩٢٩ (العام الذي انتقل فيه الأبوان من نيويورك إلى لندن، ليكونا بالقرب من ابنهما). الكتاب في ٨٥٠ صفحة، وترد فيه أسماء قرابة ٢٠٠٠ شخصية تجدها تتزاحم في فهرست الأعلام. ولأن باوند ولد في ١٨٨٥، وشرع في كتابة الرسائل لوالديه مذ غادرهما قرابة مطلع القرن العشرين، فهذا يعني أن رسائل هذا المجلد لوالديه كانت نتاج ربع قرن من الزمان فقط. ولك أن تضيف لها مجمل الرسائل التي كتبها لآخرين في الفترة ذاتها. المحصلة ستكون حفنة ثقيلة من الرسائل كل يوم، تجعلنا نعجب كيف كان باوند، بحاجته المالية الدائمة لوالديه، يتدبر أمر طوابعها!

في دراسته دخل باوند دورات جامعية عدة، وحقول معارف متنوعة. ولكنه لم يكن صاحب مزاج أكاديمي. في ١٩٠٨ سافر إلى لندن، ثم إلى فينيسيا. وهناك نشر شعره أول مرة. ولا تتوقف رسائله لأبيه عن طلب العون، لا المالي فقط من أجل شراء الكتب والملابس والاشتراك في المجلات، بل العون في ملاحقة محرري الصحف والمجلات ودور النشر، من أجل نشر نتاجه الشعري والأدبي. وإذْ يُطربك هذا الرفق الأبوي الصبور في رعاية ابن تجاوز سن الشباب، يأخذك صلف الابن الذي لا ينقطع في الملاحقة المرهقة لأبوين رؤومين. ولكن هذا الابن ناشط في حقل المعرفة والإبداع بصورة تبدو فريدة تماماً. ولعل الأبوين يتقنان معرفة ذلك.

من لندن كتب لأبيه:

" أحسب أني بدأت أرى ضوء النهار إذا ما واصلت بمواصلة صمام الأمان بضعة أسابيع أخرى. لدي شعور مبهم بأني سأحقق نجاحاً. لا تذكر هذا لأحد!

بالنسبة للملابس التي أشرتَ إليها بلطف، أحسب أني أحتاج الى عدد منها. بدلة اقتصادية أظن أنها تكفي لفترة طويلة، سترة خفيفة ملونة وذات رتوش قليلة. ولكن إذا لم تكن هناك ٢٠ دولاراً في المتناول فأستطيع أن أكتفي لفترة من الزمن بقبعة، سترة وبضعة أربطة عنق جديدة. ولك أن ترسل لي ملابسي الداخلية الشتائية...الخ".

غزارة الرسائل تنطوي على غزارة المعلومات التي تشكل حياة واحد من أهم رواد الشعر والأدب الحديثين. تلاحق فيها تعرّف باوند على أعلام مرحلته، وفاعليته في التأثير المتبادل بينهما. كما تلاحق الينابيع التي شكلت مجرى الـ "كانتوس"، كتابه الشعري الضخم. وهي من جانب آخر تكشف عن بضعة أسرار في علاقاته الغرامية، وحقيقة أن عمر ليس ابنه، بل ابن رجل كان ذا علاقة بزوجته دوروثي. في حين كان هو ذا علاقة بامرأة تُدعى أولغا، رعته حتى آخر حياته.

اصدار

جمرات من جحيم العراق.. بعدما حدث الطوفان

المدى الثقافي

تعد هذه المجموعة الحادية عشرة، للشاعر الكبير محمد جواد الغبان، الذي عرف بمواقفه الوطنية المحتدمة ومطولاته التي تكتب تاريخ أمة، نجد في هذه المجموعة وحدة الموضوع التي جسدها – الغبان – من خلال إماطة اللثام عن أكبر مؤامرة حدثت للنيل من وحدة وتراب العراق، بإشعال الفتنة الطائفية التي ثلمت جزءاً من الشخصية العراقية المتعددة في طوائفها وأديانها ومذاهبها وأعراقها.

الشاعر محمد جواد الغبان من خلال هذا الشدو الحزين، وهو يمشي على الجمرات بإصرار شاعر يصرخ بكل ما أوتيت الكلمات من صرخات موجعة ومؤلمة ومتمردة ونزقة، ليقول إنه شاهد على هذا العصر المريب الذي يحاول أن يقطّع أوصال البلاد.

صدر هذا الديوان عن شركة مطابع الأديب – عمّان – الأردن – بقصيدة مطولة من ثلاثمائة بيت، على وتيرة واحدة من وزن واحد وقافية واحدة / جمرات من الجحيم العراقي / أشعلتني فألهبت أعماقي / فإذا باللهيب يملأ دربي / وتغطي نيرانه آفاقي / وإذا الشعر هو دمع وجمر / قد أضاءت به الليالي المحاق / يا عراقي صبراً فلابد يأتي / لك فجر بالنور والإشراق.

محمد جواد الغبان من شعراء الرعيل الأول في القرن الماضي المعروف بوطنيته وهو صاحب صالون أدبي ما يزال عامرا بمهابته الأدبية والإبداعية ويتردد عليه الشعراء والروائيون والنقاد والمفكرون، ويعد من أقدم الصالونات في العراق.

(سميراميس) روسّيني في افتتاح مسرح سان بنابوليب في نابولي

المدى / آجي

مسرح سان كارلو

يتجدد، بعد سنوات، لقاء مسرح سان كارلو في مدينة نابولي والمخرج المسرحي الكبير لوكا رونكوني الذي سيفتتح الموسم الأوبرالي الجديد لأكبر مسارح نابولي بأوبرا سميراميس للموسيقار الكبير جواكينو روسّيني. يتميز العرض بالبساطة ومرونة تغيير المشاهد إلى جانب مستجدات مثل تواجد الجوقة في المكان المخصص للأوركسترا، التي يقودها غابرييلي فيرو، أي أسفل منصة العرض.

وأعربت مسؤولة المسرح روزانّا بوركيا عن سعادتها لافتتاح مخرج كبير مثل رونكوني الموسم وأملها تكرار هذا الأمر في المواسم القادمة.

وعن المغنين المشاركين في العرض أكد قائد الأوركسترا تمتع المغنين جميعاً بجمال الصوت وقدرات فنية كبيرة، تؤدي دور البطولة لاورا أيكين بالتناوب مع ماريا بيا بيشيتيلي، أما شخصية آشور فيؤديها سيموني ألبيرغيني.

الأوبرا مستوحاة من تراجيديا الكاتب الفرنسي فولتير، ومن هذا النص انطلق عمل المخرج رونكوني، أما الأداء الموسيقي فيركز، حسب قائد الأوركسترا، على تفادي الأجواء الرومانسية التي لم تكن مفضلة لدى روسّيني وذلك بمضاعفة رباعي الوتريات للأوركسترا التي يقودها غابرييلي فيرو منذ خمس سنوات.

أراد المخرج تأكيد هذا التوجه من خلال أدواته أيضاً إلى جانب الموسيقى، ولا يحبّذ وصف إخراجه بالبسيط مفضلاً الحديث عن "استعراضية محدودة الحجم"، ويشير إلى اختياره "خشبة مسرح يتحرك كل ما عليها، خالية من استراحات تغيير المشاهد حيث تتداخل المشاهد بسلاسة ما يجعل الموسيقى "متحررة من المبالغات الوصفية".

صمم المشاهد تيتسيانو سانتي، فيما صمّم فايسباردز الإضاءة لهذه الأوبرا التي قُدمت للمرة الأولى على مسرح سان كارلو في نابولي في الثلاثين من كانون الأول ١٨٢٣ أي في العام نفسه الذي قُدمت فيه للمرة الأولى على مسرح لا فينيتشي في فينيسيا. الأوبرا مكونة من فصلين كتب نصها غايتانو روسّي وهي آخر أعمال روسّيني الأوبرالية قبل رحيله إلى فرنسا.

جدران لا تغادر حزنها (الحقيقة وهم)

دخيل الخليفة×

١ـ سجن

كلما وضعتُ قلبي في قفص
وجدتُ بابه مفتوحا
وأنا كائنٌ يسجنني الهروب..!
يجرحُني أن يدخلني ظل
فيدحرجُ قلبي خارجَ جسدي
يجرحُني الحبّ حين يتلفتُ بلا أجنحة
يجرحُني الخوفُ حين يخرجُ بلا ثوب
يجرحُني الرمشُ حين يكون حاداً كنصل
يطعن
ويختفي!
كل هذه الفضاءاتِ بيتي
غير أنني وحيد.. وحيد
مثل قلبي
أعدّ جروحي مثلما أعد الشيبَ في لحيتي
وبابُ القفص مفتوح..!

٢ـ من روائح العرق ولدنا

في الليلِ تلبسُنا الهياكلُ العظمية
نمشي بلا اتجاه
كأنّ عيونَنا ممراتٌ معتمة إلى المجهول
تغسلُ أفواهَنا رائحة الغياهب
منفيون
إلى احتضانِ الضجيج
أحلامُنا السوداء
على مقربةٍ من قبور اللغة
من روائح العرَق ولدنا
قطرة
قطرة .
في خزائن السنوات الذابلة
ندّخرُ أسماء بيوتنا الكبيرة.
حينما نفكّر أن ندوس الزجاج
باتجاه الجدران الرمادية
الجدران التي لانغادرُ حزنَها
إلا دونَ أصابع!

٣ـ فشل ديناميكي

يتذرّى بالضجيج
هائماً في حسرةِ غصنٍ مربوط
لم يستطع
رسمَ الدوائر على خصر سنبلة
فكّر أن يخلعَ رأسه
ليدوسَه سادة الطلاسم.
ماتَ
حالماً بامرأة
تتكرزُ على مفرداتٍ عرجاء.

٤ـ رياء

بوسعك أن تلعقي دمعةً حارّة
أن تضحكي على حلم بلا رقيب
إنما ستدركينَ يوماً
كيف يبكي رجل مكسور ..!

××

تعالي أعد أصابعك من جديد
خمسة !
والأخرى سرقتُها من على الطاولة.!

××

أكرهُ الضحكةَ الكاذبة
ثمة ما تخفيه عيناك
خلفَ ستائرَ مثقوبةَ .
الأرضُ ليست مستديرة
إنها مثلّثة
لأنك لستِ ضلعاً أعوج ..!

×شاعر كويتي